

الدروس المستفادة من النزاعات

و

وسيلة حلها في كل من، سوريا، العراق، مالي، مصر، جمهورية أفريقيا الوسطى، اليمن، ليبيا.

إعداد وتقديم: دكتور سامي الخوالدة

صراعات هنا وهناك، قتال وقتلى، أنظمة وجماعات، شيعة وسنة، مسلمون يقتلون المسيحيين، مسيحيون يقتلون المسلمين، كل هذا، تارة باسم الدين أو المذهب، وتارة اسم القومية، تحت شعارات جهادية ومناداة بالوطنية، وشهداء تنتظرهم الجنة من كل الأطراف.

أصبحت النزاعات داخلية في كل بلد من البلدان مثل سوريا، العراق، ليبيا، اليمن، مالي، مصر، أفريقيا الوسطى، قبل هذا النزاع كان النزاع عربي صهيوني، بين المعتدي والضحية، بين صاحب الأرض والمحتل، كان النزاع والصراع بين دول.

طال النزاع وتعاقبت على حله المبادرات وتدخلت بحلولة دول، وبقيت الغلبة للقوة العسكرية المنظمة. مضى عليه ما يزيد على ستون عاما. شعب عربي مشرد، وأرض محتلة من قبل جماعات جاءت من الشرق والغرب لتحتل الأرض باسم الدين والعقيدة والمعتقد، لتبني دولة الصهيونية السرطانية في الجسم العربي مدعومة بمساعدات دولية لتتمكن من الثبات وإثبات الوجود على أراضي الغير.

في بدايات العام 2011 تحركت بعض شعوب عربية ضد أنظمة الحكم فيها للتخلص من الشعور بالظلم مما أدى إلى ظهور ما سمي بالربيع العربي، شعوب ثارت وشعوب أرادت أن تنور مما أدى إلى يروز تنظيمات وأفراد وشخصيات حاولت قطف ثمار هذه الثورات.

وبررت الوسيلة بالغاية، مما فتح المجال لقوى الاستعمار الأجنبي لاستغلال هذه الجماعات للعبور نحو مصالحها وإعادة انتشارها في المنطقة، فقامت بتغذية هذه الصراعات مخفية وراء كل مذهب وتنظيم ومن خلف كل طالب للمساعدة، فتحول الصراع الدولي إلى صراع مذاهب وأديان، ومعتقدات وصراع أحزاب وجماعات، كلها تحمل السلاح وكلها تحارب بعضها بعض وكلها تتلقى السلاح والتمويل ليستمر القتل، والتشريد، والدمار.

أصبح القتل والتنكيل بين أبناء الشعب الواحد، وبين المسلمين أنفسهم تحت شعار الله أكبر.

أصبح المسلم يعتدي على المسيحيين كما حدث للأشوريين في شمال العراق، وأصبح المسيحي يعتدي على المسلم وينكل به، كما حصل في بورما ومالي وأفريقيا الوسطى، وأصبح السني يقتل الشيعي والشيعي يقتل السني كما حصل في سوريا والعراق، وأصبح المصري يقتل المصري للمعتقد وللغور بالسلطة.

صراعات، ونزاعات بين طوائف ومذاهب تتغذى من عدو الماضي، كلها تتلقى السلاح، وكلها تتلقى الدعم لتستمر على الأرض وليستمر القتل والدمار، كر وفر، قتلى بالألوف من كل جانب، وكل جانب يتلقى الدعم المعنوي عبر محطات إعلامية وجهة لتشد من عزم وعزيمة كل طرف من أطراف هذه النزاعات، مما أدى إلى ضياع البوصلة العربية، وأصبحت الشعوب العربية بين هذا وذاك وأصبح المواطن العربي يقف في وجه أخيه ابن أمه وأبيه، متأثراً بما يسمح وبما يرى عبر وسائل الإعلام التي خصصت لتغذية هذه النزاعات وبهذا تحولت النزاعات الدولية إلى نزاعات طائفية أو دينية أو إقليمية تقف خلفها ذات الدول الطامعة بهذه المنطقة.

والأدهى والأمر إلزام بعض دول المنطقة بدفع فواتير هذه الحروب والصراعات، وبهذا وجد عدو الأمتس أسواق جديدة لتسويق مصوغاته الحزبية.

ما الذي يجري وما الذي حدث؟

الذي يجري هو قتل على الهوية، وتشريد وتعذيب، وانتهاك لحقوق الإنسان بشكل فاضح صارخ لم يعرف له مثل عبر التاريخ، وكثرت التحليلات والتعليقات، وتعددت الإجابات والنتيجة مزيد من الضلال والتهيه والتخبط، ومزيد من الويلات والمآسي، واستمرار من المكوث في النفق المظلم الذي يلوح في نهايته نور سناء جهنم الذي يسير الجميع إلى هاويتها يتسارع عجيب هذه الكارثة ما هي إلا مرحلة من مراحل الكارثة الكبرى التي مضى عليها قرابة قرني من الزمان.

بدأت نكبة العرب الكبرى في انتصار المشروع الاستعماري الغربي انتصارا كاملا في الحرب العالميتين الأولى والثانية فأصبح العالم العربي برمته خاضعا له، فقام بتأسيس دويلات أو كيانات سماها دولا، وكلف بإدارتها وكلاء عنه من أبناء تلك الأوطان المستعمرة، وألزمهم بالسير وفق مخطط محكم لإبقاء هذا العالم متخلفا وتابعا لتلك القوى الاستعمارية.

فكل ما نشهده في عالمنا العربي والإسلامي بعد الحربين العالميتين من أوضاع هو صناعة أجنبية أوجدها المستعمر لإحكام سيطرته على الشعب العربي لاعتبارات كثيرة من أهمها ما في بلاد العرب من ثروات هائلة، ولتحقيق ذلك خططت الدول الطامعة في هذا الجزء الغني من العالم لما يلي:

- 1- الحيلولة دون توحيد الشعب العربي تحديدا ولو على وثن.
- 2- الحيلولة دون النهوض العالمي وامتلاك أسرار العلوم والتكنولوجيا.
- 3- الحيلولة دون عودة الإسلام غير المبدل وغير المؤول إلى واقع الحياة.
- 4- الحفاظ على قاعدة الغرب العسكرية المتقدمة في المنطقة (إسرائيل).

لذلك كله ولتحقيق الأطماع الاستعمارية حرصت الدول المستعمرة أن تزرع في هذه الدول التي تغرق في نزاعات داخلية، أنظمة حكم عميلة لها وتدار من قبلها سراً، أنظمة وظيفية

ترعى مصالح تلك الدول المستعمرة، وتخدع شعوبها بمظاهر التحرر والاستقلال، وما هي في الحقيقة إلا مستعبدة، مسلوبة الإرادة.

وتزداد بشاعة الصورة بإحاطة أولئك الحكام العملاء بوسط سياسي عميل متعفن لمنعهم من مجرد التفكير بالتحرر والانعتاق، بالإضافة إلى تبني تنظيمات وشخصيات عميلة تمارس المعارضة لتكون بديلا لهم إن حاولوا التمرد، أو لتكون رادعا لهم لمجرد التفكير في التمرد، وتتضاعف هذه الوحشية بإطلاق أيادي أولئك الحكام العملاء لممارسة أسوأ ما عرفته الإنسانية من قمع، وسحق، وإذلال لشعوبهم وخداعها، والتآمر على مصالحها، وجعلها لقمة سائغة، وفريسة سهلة لقوى الاستعمار العالمي.

وقد عرفنا عبر التاريخ القديم ملوكا وحكام وضعتهم الدول الكبرى أو دعمتهم لتحقيق المصالح والنفوذ كالمناذرة في الحيرة والغساسنة في الشام وبعض ملوك اليمن، إلا أنهم كانوا يتصرفون تصرف الحليف الذي يمارس تحالفه وفق مفهوم تبادل المصالح وتقاطعها، والابتعاد قدر الإمكان عن إلحاق الأذى بشعوبهم، إما تبعية الحكام المعاصرين فهي قائمة على تدمير شعوبهم لمصلحة العدو المستعمر، الذي يعمل من أجل التحكم في كل صغيرة وكبيرة في حياة هذه المجتمعات بواسطة هؤلاء الحكام العملاء، فهذه الكيانات التي تحكم هذه الدول التي تعاني الآن من النزاعات وفق أشد الصراعات هي البديل لسرايا المستعمرين ولكنهم من أبناء جلدتها ويتكلمون بألسنتها فكان ضررهم أشد من ضرر الاحتلال المباشر.

وعليه فإن كل ما يتم إنجازه طيلة القرن العشرين وحتى هذه اللحظة هو صناعة المستعمر ولخدمته بطريق مباشر أو غير مباشر... وكل من ادعى النضال، ونادى بالتحرر وهو لا ينطلق من هذه الحقيقة المرة القاسية فهو هازل غير جاد، وهو يدور في نفس الساقية وينفس الدائرة.

وما لم تتم مصارحة الأمة بهذه الحقيقة الفاجعة فكل ما قيل ويقال هو مجرد تضليل
وخداع، لتظل الأمة تدور في دوامة التنية القائلة، تستبدل قيذا بقيد، ومستعمرا بآخر، وعميل
بعميل وتبعية بتبعية، وذلا بذل.

فإلى متى نطلق على أدوات المستعمر ألقاب الوطني، النزوية، الشريف، العفيف،

النظيف!!

ولإدراك واقع الربيع العربي، فهذه الدول المستعمرة ليست غافلة عما يجري من تفاعلات
في باطن الأمة المقهورة والمسلوبة الإرادة التي تعيش حياة القهر والفقر وهي التي تملك ثروات
مادية هائلة، وإرثا حضاريا كفيلا بإسعاد البشرية جمعاء، فعندما شاهدت تلك القوى تخلق جنين
المشروع النهضوي في رحم الأمة سارعت برفع الغطاء عن هؤلاء الحكام لتحصل الثورة قبل
أوانها، وقبل اكتمال ذلك الجنين، لتعيد تشكيل المنطقة بطريقة جديدة لمرحلة استعمار جديدة،
ويأتي مثل هذا التوجه فرصة تاريخية للولايات المتحدة الأمريكية تحديدا لاستكمال مشروع تفردھا
بهذه المنطقة بحيث تخرج أوروبا منها نهائيا.

ونظراً لأن الأمريكان يحاولون التفرد بالعالم العربي والإسلامي منذ سقوط الاتحاد
السوفييتي، ومنذ إعلان أمريكا في بداية التسعينات عن ولادة النظام الدولي الجديد الذي يهدف
إلى تكريس الولايات المتحدة سيدة للعالم بدون منازع، فإنني أرى منذ ذلك التاريخ فقد دخل العالم
في الحرب العالمية الثالثة التي يجري فيها صراع رهيب بين قوى دولية وإقليمية تختفي من وراء
مذاهب وطوائف ومعتقدات وقوميات، ومن المخزن أن جند هذه الحرب هم أهل هذه المنطقة فهم
الأداة، وهم الضحية، وهم الغنيمة، فنجد الصراع في سوريا بين الأمريكان والروس مع الإيرانيين من
جهة والأوروبيين من جهة أخرى، ونفس المشهد نجده في العراق وليبيا.

أمريكا تسعى جاهدة لإعادة صياغة المنطقة بما يضمن تفردا بالسيطرة والنفوذ والأوروبيين يحاولون جاهدين للاحتفاظ بمواقعهم ونفوذهم، ويجري هذا الصراع الرهيب لتشكل المنطقة لإعادة صياغتها خدمة للهدف الأمريكي من جهة، كما يجري صراع لتحتفظ أوروبا وتحديدا بريطانيا وفرنسا على ما لها من نفوذ.

سبل الحل للخروج من هذه الصراعات:

- 1- الابتعاد عن الاختلافات الفكرية والعقائدية.
- 2- وأد العنف ورمي السلاح والجلوس إلى مائدة التفاهم.
- 3- التوجه نحو وحدة المصير في هذه الدول.
- 4- الخروج بمشروع سياسي إستراتيجي مقاوم بكل أبعاده السياسية والاجتماعية، والثقافية والاقتصادية يهدف إلى كسر حلقة التبعية.
- 5- بناء حركة تحرر وطنية في هذه الدول تقوم على السلمية وعبر قنوات ديمقراطية حقيقية.
- 6- تحرير الثروات.
- 7- تحرير الإرادة السياسية من الهيمنة الأجنبية.
- 8- التوجه لإنتاج خطط تنمية وطنية حقيقية.
- 9- عبر التكامل العربي الإسلامي، فلا عروبة بلا إسلام ولا إسلام بلا عروبة، والعودة إلى الرسالة الربانية إذا أنزل القرآن باللغة العربية.
- 10- وحدة الصف العربي مسلمين ومسيحيين أمام قوى الاستعمار والاحتلال.
- 11- وقف تدخل بعض دول المنطقة بشؤون هذه الدول.